اللقاء الأخير مع السيد كورونا.

كانت الساعة الثامنة صباحا عندما سمعنا احدا يدق الباب، سبقتني هاجر، وجدت رجلا، ابتعدت تطبيقا لكل تعليمات السلامة، حيته وقالت له ما المطلوب؟ اجابها أنه يسأل عني. عندما عادت واخبرتني، تساءلت من يكن هذا الشخص الذي طرق باب شقتنا في هذه الظروف الاستثنائية. قبل ان أصل الى الباب توقعت رشيد، وهو احد أصدقائي المتهورين، لكن المفاجأة كانت كبيرة، انها امرة لم يسبق لي رؤيتها من قبل. طلبت مني الدخول، ترددت فألحت ثم ألحت ودخلت دون ان تنتظر اذني وطلبت مني عدم اغلاق الباب. دون مقدمات قالت انا زوجة السيد كورونا ثم اختفت. بعد برهة دخل من كنت اعرفه. جلس في غرفة الاستقبال، وطلبت منه برهة. سرقت هذه اللحظة لأخبر اسرتي بضيفنا . بعد البلاغ الذي قدمته لهم باقتضاب، اصفر وجه زوجتي الى حد اني لم اعد اعرفها، هرول الأطفال الى غرفتهم واحكموا اغلاق الباب، اما زوجتي فقد اصبحت تتكلم باسترسال دون ان أتمكن من فهم ما تقول. لما فتحت غرفة الأطفال، وجدتهم متسمرين على اسرتهم بعيون جاحظة. حاولت طمأنتهم لكن دون جدوى. توترت اعصابي واحسست اني اخاطر بحياتهم. ولكن ماذا عساني افعل؟ لم أسلم لا رقم هاتفي الى السيد كورونا كما لم اعطيه عنوان مسكني. انه خارق وله وسائله الخاصة للوصول الى حيث يشاء. يصل حتى المحصنين في بروج مشيدة. قدرته على انتحال الصفات والتنقل من مكان الى مكان تجعل منه شخصا استثنائيا. المهم، احسست بحلق ناشف فشربت كوب ماء وتملكت نفسي وذهبت الى الغرفة حيث يوجد ضيفي. طلبت منه الاعتذار عن التأخر وقال لابأس لدينا ما يكفي من الوقت ففهمت ان مأساتي ستطول، ومع ذلك قلت له مرحبا. هل تحب شرب شيء ما؟ قهوة من فضلك. اسرعت الى المطبخ وحضرتها.

شقتنا التي كانت عادة مسرحا لضجيج الأطفال، للعبهم وخصامهم أصبحت هادئة. خليل الذي لا يحب الانضباط وجدته في الغرفة يتظاهر بالقراءة وسلاف شاحبة الوجه وملقاة على سريرها لكنها تحاول مع ذلك طمأنة اخيها وكلما سمحت لي الفرصة لرؤيتهم ، تهمس في أذني: هل رحل عنا كورونا؟ اما هاجر التي انزوت في غرفة النوم فقد قالت عندما عدت لرؤيتها : لقد حظرتك من مغبة افعالك، فمنذ لقائك الأول بهذا اللعين، قلت لك انك تلعب بالنار. المهم " الله يخرجها بخير"، وصمتت.

السيد كورونا جاء ليحكي لي عن سبب شعوره بالظلم من طرف البشر ولكن قبل ذلك تجرأت على مقاطعته خاصة ان علاقتي به اصبحت اكثر ألفة بل أصبحت في بعض الأحيان حميمية واحيانا يكون معي مازحا فتعلو قهقهته الصاخبة لتغطي كل غرفات البيت. تلك القهقهة تنزل على كل افراد الاسرة كالصاعقة فيزداد خوفهم على مصيري ويتساءلون ما سر هذا الصوت المزعج. سألته من جديد عن أصله ومن اين اتى؟ فذكرني بما قاله في لقاء سابق وأضاف، انا كائن موجود وليس مهما شغل بالكم بأصلي وكيف ظهرت، فأنا مثلكم أتساءل دون ان اجد جوابا. انتم ايها البشر، موجودون على الأرض منذ حوالي 200.000 سنة ومع ذلك لازالت مسألة وجودكم تطرح نقاشا، فمنكم من يؤمن "بنظرية التطور" التي تعتبر ان الحياة انطلقت من الماء وعرفت اول "خلية" حية تطورات عديدة بسبب الطفرات المتلاحقة وقد أدى ذلك الى ظهور مختلف الكائنات الحية الحالية ، ومنها الانسان. وتطلب التطور منذ الحياة الأولى الى ظهور الانسان، ملايين السينين. ومنكم من يعتقد "بنظرية الخلق" مكتفيا بان كل

الكائنات من خلق الله. لذلك كيف تريدني ان اجيب عن سؤالك وانا الفاقد لكل وسائل الاثبات. المهم كما قلت لك سابقا، تعاملوا معي كما انا. تعاملوا معي كعدو صغير، خائف وجبان.

في طريقي الى بيتكم، لاحظت كل المظاهر، مررت بأحياء الرباط الراقية ووجدتها فارغة لكن يبدو ان تلك هي عادتها. إنها دائما فارغة ومساكن الناس جنات بهيجة ولا حاجة لهم في الخروج. وبالطبع لم اجرأ على دخولها، لان ذلك سيكون مخاطرة كبيرة بحياتي ، وستتجند كل الطاقات و الاطقم و الوسائل للفتك بي. وفي الاحياء المتوسطة التي كانت تعج بالمارة ، استسلم الناس بسهولة لنداء الحجر الصحي. يمكن رؤية بعضهم، لكن تراه حاملا لكمامته متوجسا وخائفا. عندما كنت اسير في الشارع واقتربت من احدهم فضل تغيير وجهته رغم كل الاحتياطات اللازمة التي اتخذها. هذه الاحياء أصبحت كئيبة وبئيسة، فقدت صخب الحانات وأغلقت المطاعم و المقاهي وكل ما يبعث على الحياة. وعندما تسللت لأحدى الشقق، شفقت لحال الأطفال. الأطفال الصغار الذين ألفوا اللعب و المدرسة و التجوال، حرموا من كل شيء واصبحوا لا يسمعون سوى التحذيرات و التخويف. وهذا ما لاحظته في كل البيوت التي زرتها متخفيا. لذلك احذركم من إصابتهم بالكأبة بعد رحيلي. في الحقيقة، اشعر بالشفقة اتجاه هؤلاء الأطفال، لذلك ادعوكم للتخفيف من هلعهم ، خذوا الامر بجدية لكن دون مبالغة، ساعدوهم على تقسيم يومهم لتجنب الملل: قراءة حرة، اعمال منزلية، موسيقى، لعب، رياضة منزلية...الخ، وفوق كل ذلك تجنبوا الحديث عني الا عند الضرورة. من الصعب حصر طفل داخل شقة او منزل لمدة غير محدودة، فالأطفال بطبعهم يتوفرون على طاقة يجب استهلاكها وهذا سر قدرتهم على الجري و اللعب لمدة طويلة. اما احياء الفقراء منكم فالأمر مختلف ، وجدت بعض "السويقات" وبعض التجمعات الصغيرة ورأيت رجلا يسلم ويعانق صديقه دون الاكتراث بكل هذه الجلبة، هنا تحولت واخذت شكل رجل عادي وقلت له أن ما تقوم به يشكل خطرا على صحتك، وأجاب "الله هو الحاضي"، وهنا فهمت ان تصديق الناس لما يسمعونه يتطلب مصداقية القائل وعندما لا تكون لك مصداقية لا حد يصدقك حتى في اللحظات العصيبة. قلت في اعماقي انه على حق، وتذكرت قصة كانت امي قد حكتها لنا في احدى حلقات حكيها عندما كنا نتجمع حولها ونحن أطفالا صغارا. لقد حكت لنا أن رجلا كذابا اخبر قبيلته بقدوم العدو ولم يصدقه أحدا وحلف بيمينه ومع ذلك لم يتق به احد الى ان دخل عليهم العدو وداهمهم. كانت امي تريد ان تحثنا على الصدق وعدم الكذب.

رغم اني لا اسمح لأحد بالتدخين داخل شقتنا، شعل السيد كورونا سيجارته دون إذن وراح يجوب بعينية كل انحاء الغرفة الى ان وقعتا على صورة متكئة على الحائط، فسألني لمن هذه الصورة ،اخبرته فورا انها لأمي وأبي. ودون عناء قال لي يبدو ان اباك جديا وصارما وامك حنونة ومعطاءة . لقد اذهلني بملاحظاته فأبي كان فعلا مهابا و ذو شخصية قوية وصارمة وجذية و كان محبا للحياة وللعمل اما امي فهي بالفعل حنونة وعاطفية ومحبة للجميع وميالة للاستمتاع بالراحة. لقد تأكدت ان السيد كورونا خارق بالفعل. ودون شعور، ربتت على فخذه وقلت له انت رائع وخارق. لم يهتم فشعرت بالخوف، لكنه طمأنني عندما قال: هل لديك أسئلة أخرى قبل المرور الى صلب الموضوع. قلت له لقد اجبت تقريبا عن كل اسئلتي ولكن اريد ان اسال ان سمحت عن المدة التي تفصلنا عن اكتشاف لقاح للقضاء عليك. ابتسم وقال: ككل الكائنات الحية، احب الحياة لهذا أتمنى ان لا تستطيعوا إيجاد هذا اللقاح ابدا ولكن مع ذلك انا متأكد انكم ستجدونه عندما يتمكن من هم فوق من تسوية خلافاتهم. أيجاد لقاح ضدي ليس بالأمر الصعب، انه مسالة سياسية و اقتصادية. ولكن بعد القضاء علي أتساءل هل سيذكرني البشر بخير، لاني عريت الوضع الصحي ووضحت لمن يحتاج التوضيح ان السياسات الصحية الحالية فاسدة وقاتلة وغير

قادرة على تلبية حاجيات البشر. واتساءل هل ستستمرون في صمتكم بعد رحيلي، وترك الوضع كما كان قبل ظهوري ام انكم ستضعون الصحة على رأس جدول اعمال اهتماماتكم ومطالبكم. أتساءل هل سترفضون خوصصة الصحة ام ستمر الموجة وتعود الدعاية الكاذبة لإقناعكم بأهمية المنافسة وكيف ان هذه المنافسة تخلق الجودة وغير ذلك من الاضاليل و الأكاذيب. منذ الآن عليكم رفض كل ذلك لأني كشفت لكم ان مئات المصحات الخاصة غير قادرة على فعل أي شيء وان لا خيار غير مستشفيات عمومية جيدة وكافية.

انهى كلامه وقال اما بخصوص ظلمي فلم يعد لي الوقت اللازم لذلك اعتذر وسأرسله لك في اقرب وقت ممكن عن طريق الفاكس، ثم اختفى.